# حديث عن الدعوة والدعاة (١)

● سألت الشيخ يوسف القرضاوى ونحن بصدد هذا الحوار : من أين نبدأ ؟

● ● قال : نبدأ من القرية ، فأنا ابن الريف وابن الأزهر وابن القرآن . أنا ابن تلك الأسرة القروية البسيطة التى تصحو على الأذان وتنام على كلمات الله ولا يعرف أبناؤها طريقاً إلى التعليم فى غير الأزهر الشريف .

وما أعذب كلمات الشيخ بعد ذلك وهو يتحدث عن رحلته وتعليمه ومسيرة أيامه مع كتاب الله . ولكنه وهو يبدأ فى الحديث عن نقطة التحول فى حياته حين قُدِّر له أن يلتقى بدعوة الشيخ حسن البنا فيتحول بها ومعها من التدين الفردى إلى الدعوة العامة ، يختلج صوته وترف الكلمات على شفتيه وكأنها تخرج من قلبه ويسترسل فى حديث عذب فيه من الصدق بقدر ما فيه من العمق والإلهام .

وهنا - حين بدأ الشيخ يتحدث عن الدعوة والدعاة - كان لا بد أن يبدأ هذا الحوار .

ولكن الشيخ يوسف القرضاوى تحرَّج كثيراً وهو يتحدث عن جهوده فى ميدان الدعوة ، وقال : إن الحديث عن النفس شئ ثقيل ، فالله تعالى يقول : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴾ (٢) . وظنى أن أعظمنا جهداً لم يقدِّم لدينه شيئاً يذكر قياساً إلى ما قدَّمه وقام به أئمتنا وعلماؤنا السابقون . لقد شرفنا الله بالإسلام ، وحقيق بنا أن نكون على مستوى هذا الشرف الرفيع . فهل قدَّمنا نحن للإسلام ما ينبغى أن نقدمه ؟ هل فعلنا من أجل ديننا هذا ما فعله ويفعله الآخرون لأديانهم ؟

---

(١) حوار أجراه الأستاذ خلف السليمان فى البحرين ، ونشر فى مجلة « المسلمون » فى ٦ من شهر رجب سنة ١٤١٢ هـ ( ١٠ من شهر يناير سنة ١٩٩٢ م ) .

(٢) النجم : ٣٢

● قلت : أنت تنكر نفسك يا شيخ ، فأنت تعيش فى ساحة الدعوة منذ خمسين سنة ، وقد أثريت المكتبة العربية بشئ غير قليل من الكتب الأمهات .

● ● قال : بل هذا جهد المقل . فبرغم كل ما قدَّمته من كتب إلا أن لدىَّ منها عدداً لم يكتمل . وبعضها بدأت الكتابة فيه قبل عشرين سنة ولم أكمله إلى الآن . ولدىَّ مشروعات متعددة لأكثر من كتاب ولكن وقتى وطاقتى لا يسعفانى لإنجازها .

● قلت : إن كتبك الموجودة تلقى رواجاً كبيراً وتسد جانباً هاماً فى المكتبة الإسلامية فكيف تراها ؟

● ● قال : هذا من فضل اللّه تعالى وتوفيقه فله وحده الشكر .. أما الفضل الأكبر ففى انتشار هذه الكتب وإعادة طبعها مرات متعددة إلى حد أن كتاباً مثل « الحلال والحرام » طبع أكثر من أربعين مرة ، وقال البعض عن كتاب « فقه الزكاة » إنه كتاب القرن فى الفقه الإسلامى .

● قلت : لقد تنوعت هذه الكتب ما بين التفسير والحديث إلى الفقه والأصول والدعوة والفكر الإسلامى ، ولكنى قد أذكر هنا كتاب « ثقافة الداعية » لأننا أحوج ما نكون إلى هذه الكتب المتزنة التى تتحدث عن الدعوة والدعاة فكيف ترى أبعاد هذه القضية من خلال واقع الصَحوة الإسلامية اليوم ؟

● ● قال : يحتاج الداعية إلى عدد من الصفات حتى يستطيع أن يقوم بالدعوة إلى اللّه سبحانه وتعالى بطريقة تؤدى إلى بلوغ الهدف . ولكن ، ما هو الهدف من الدعوة ؟

الهدف هو هداية البَشر إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، والأخذ بأيدى الناس إلى اللّه سبحانه وتعالى لحشدهم فى ساحة الإسلام الصحيح حتى يرتبطوا بهذا الدين الحق علماً وعملاً وخُلُقاً وفكراً وسلوكاً . ذلك ما نريده على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة كلها . وتلك مهمة جليلة

لا بد أن يستشعر الداعية خطورتها وأهميتها معاً ، مما يستوجب التهيؤ لها بكل الأسلحة الشرعية والفكرية والخُلُقية جميعاً .

● قلت : تلك مواصفات صعبة ؟

● ● قال : نعم . إنها فى صعوبة المهمة الكبرى نفسها . إذ أن الداعية لا بد أن يتمتع بميراث النبوة أو بشئ منه ابتداءً من الرحمة بالصغير والتقدير للكبير وانتهاءً بالاستعداد للإجابة عن كل سؤال من الناس : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

* *

## شباب الدعوة

● قلت : هل يتمتع شباب الدعوة أو شباب الصَحوة بهذا الميراث العظيم ؟

● ● قال : على شباب الدعوة مراجعة أنفسهم وعليهم أن يتواضعوا قليلاً وأن يستفيدوا مما قبلهم من الصحابة والعلماء . عليهم ألا يستعلوا على أحد وألا يزكّوا أنفسهم ، وبحسب الإنسان من الشر أن يحقر أخاه المسلم وأن يسئ الظن بالآخرين . إن الاجتهادات تختلف ، والساحة تتسع للجميع ، ومَن اجتهد فى أمر وبذل وسعه فيه فهو دائر بين الأجر والأجرين .

● قلت : ولكن شباب الصَحوة أو شباب الدعوة هؤلاء يواجَهون بمعوقات كثيرة ؟

● ● قال : نعم إن المعوقات أكثر من أن تحصى ، وهى معوقات خارجية وداخلية أيضاً .

---

(١) التوبة : ١٢٨

● قلت : ما هى المعوقات الخارجية كما تراها ؟

●● قال : هناك مخططات تتآمر على الإسلام ومن أهمها وأظهرها المخططات اليهودية والصليبية والشيوعية والإلحادية والماسونية والعلمانية . وقد أسفرت هذه المخططات كلها عن نفسها بشكل فاضح مع بروز الصَحوة الإسلامية فى السنوات العشرين الأخيرة . وهدفها واضح بالطبع وهو إجهاض هذه الصَحوة وتعويق مسيرتها وتخويف أولى الأمر منها .

● قلت : وكيف يمكن مواجهة هذه المؤامرة الخارجية الشاملة ؟

●● قال : بالتصدى لها ، ولكن من خلال عملية عقلانية شاملة حتى يفهم الجميع حقيقة هذه الصَحوة . وفى هذا الإطار فأنا أدعو دائماً إلى الحوار مع غير المسلمين على مستويات متعددة :

أولاً : على المستوى الدينى مع رجال الأديان الآخرين لنبيِّن لهم حقيقة الإسلام ، وأن بيننا وبينهم مجالاً مشتركاً يمكن أن نعمل فيه معاً ، ضد الإلحاد والانحلال .

وثانياً : على المستوى الفكرى مع المستشرقين والمفكرين الأجانب لأنهم أقدر على الحوار العقلى .

وثالثاً : على المستوى السياسى مع مَن يصنعون القرار فى الغرب .

والهدف من هذا الحوار المتصل مع هذه الحلقات الثلاث هو أن نبيِّن لخصوم الإسلام حقيقة هذا الدين القيِّم ، وأن نرد على أباطيل المبطلين وأكاذيب المفترين ، لأن كثيراً مما يُنسب إلى الإسلام ليس من الإسلام فى شئ ، فهم يريدون أن يأخذوا من أحوال المسلمين - الذين يجهلون الإسلام - حُجَّة على الإسلام نفسه . وهنا ينبغى أن نقول : إن المسلم ليس حُجَّة على الإسلام ولكن الإسلام حُجَّة على المسلمين .

* *

## المعوقات الداخلية

● قلت : هذا عن معوقات الدعوة من الخارج ، فماذا عن معوقاتها الداخلية؟

● ● قال : إن هذه المعوقات الداخلية ليست أقل خطراً من المعوقات الخارجية ، وإن كان بعضها أثراً من آثارها . ومن أهم هذه المعوقات عقوق بعض الحكام وعملهم ضد الدعوة الإسلامية . فمن هؤلاء الحكام مَن لم يترب على الإسلام ، ومنهم مَن نشأ فى أحضان الشيوعية والصليبية . وهؤلاء يكرهون الإسلام أو يعادونه لأنهم لا يعرفون عنه شيئاً ، ومَن جهل شيئاً عاداه . ومن الحكام من لا يكرهون الإسلام ولكنهم يخافونه . وبعد هذا - أو قبله - فإن علينا أن ننظر فى أنفسنا ، ونقوم بما يسمى بالنقد الذاتى ، لأن فينا أخطاء ، ونحن لسنا ملائكة مطهَّرين ولا أنبياء معصومين . نحن بَشر نجتهد فى خدمة الإسلام ولكننا قد نخطئ ، ولا بد من أن نقوِّم أنفسنا من داخلنا .

● قلت : قد تكون المشكلة بحق هى هؤلاء الحكام الذين لم يتربوا على الإسلام ، مما يُوجِد بينهم وبين العلماء صراعاً على نحو ما . فكيف ترى هذه العلاقة بين العلماء والحكام ؟

● ● قال : الصراع بين العلماء والحكام فى بعض البلدان ليس صراعاً مفتعلاً ، ولكنه حقيقة واقعة ، خصوصاً مع هؤلاء الحكام الذين يضمرون العداء لا للعلماء فقط ، بل للإسلام نفسه . ومثل هؤلاء الحكام اللادينيين قد يسمحون للشيوعيين والكفرة بكل شئ ولا يسمحون للمسلمين بأى شئ . فكيف يمكن أن تكون العلاقة مع هؤلاء .

ولكن هناك نوعاً آخر من الحكام الذين يعرفون حق الله فى شعوبهم ، وهؤلاء لا بد أن تقوم بينهم وبين العلماء جسور من الود والتفاهم والثقة ، بحيث يشعر الحاكم أنه فى حاجة إلى نُصح العالِم ، ويشعر العالِم بأن اقترابه من الحاكم فيه منفعة لدين الله . لا بد للعلاقة من شكل يحفظ للعلماء كرامتهم بحيث لا يُنظر إليهم على أنهم من المتهافتين على أبواب السلاطين أو المنافقين لهم . وقديماً قالوا : « خير الأمراء مَن يزور العلماء ، وشر العلماء مَن يزور الأمراء » .

● قلت : ولكن ما أندر هؤلاء الحكام الذين يعرفون للعلماء أقدارهم ؟

● ● قال : المفترض أن تكون هناك علاقة طيبة بين العلماء وولاة الأمر . ومصدر هذا التقدير يأتى من أن الأصل فى الإسلام أن يكون الحاكم عالماً، فقد كانوا يشترطون قديماً فى الإمام والخليفة والقاضى أن يكون مجتهداً وليس مجرد عالِم فقط . وهكذا كان الخلفاء الراشدون كلهم من الأئمة المجتهدين . وفى مرحلة تالية قيل : إنه يجوز ألا يكون ولى الأمر مجتهداً بل ممن يستعين بالمجتهدين . والمعنى هو أنه يجب على الحاكم أن يتودد لأهل العلم ويقربهم إليه ويزورهم فى بيوتهم ويطلب منهم النُصح ويسمع لمواعظهم ويستشيرهم فى أموره. وهذا كله من دلائل قوة الحاكم وصلاحه واستقامته وفضله . ولكن الذى يحدث الآن - لأسباب ليس الآن مجال الخوض فيها - أن العلماء أصبحوا فى جانب ، والحكام فى جانب آخر ، وليس ثمة وسيلة للتواصل بينهما ، الأمر الذى يفضى إلى كثير من التناقض وسوء الفهم . ومن هنا فلا بد من أن تكون هناك وسيلة للحوار ، ويتحقق هذا بمبادرة من الحكام أنفسهم ، لأن العالِم لا ينبغى له أن يسعى إلى الحاكم إلا ناصحاً ، والمناصحة هنا ليس معناها التشهير والمداهنة ، بل إبلاغ كلمة الحق بالحكمة لا بالضعف ، وبالطريقة التى تؤثر فى النفس أبلغ التأثير . يقول رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة » ، ويقول : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً - ومن هذه الثلاث : أن تناصحوا من ولاة الله أموركم » .

● قلت : هذا حديث طويل عن هموم الدعوة والدعاة فإلى أين ينتهى ؟

● ● قال : لعله ينتهى إلى الخير إن شاء الله بإعلاء كلمته فى الأرض .

* * *